الباب الأول

ماقبل ميلاده الشريف صلى الله عليه وسلم

الإرهاصات .. والبشارات

* أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين.
* دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام.
* بشارات التوراة والإنجيل.
* معرفة أهل الكتاب به صلى الله عليه وسلم.
* صفته وصفة أصحابه فى التوراة والإنجيل.
* حادث الفيل.
* بشارات ذكرتها السنة.. وأخرى رواها المؤرخون.

obeikandl.com

obeikandl.com

يتحدث القرآن الكريم عن:

١ ـ أخذ العهد على الأنبياء أن يؤمنوا به ويؤازروه صلى الله عليه وسلم

فيقـــول:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(١)

* الإرهاص.. معناه.. والحكمة منه:

اقتضت حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يختار من بين خلقه عبادا.. فيجعلهم رسلا مبشرين ومنذرين.. ويحملهم

---

(١) سورة آل عمران: ٨١.

أمانة الدعوة إلى سبيله، ويكلفهم هداية البشرية إلى الصراط المستقيم.. وإخراجها من الظلمات إلى النور.

واقتضت حكمته ـ عز وجل ـ أن يمهد السبيل قبل ظهور كثير من الأنبياء والمرسلين.. فكان مايسمى «بالإرهاص» وهو: كمقدمة لظهور نبى من الأنبياء.. وأمارات سابقة على بعثته أو ميلاده من جانب الله ـ سبحانه وتعالى ـ تكشف عما سيكون لهذا الإنسان من خطر وشأن.. جاء فى القاموس المحيط: أرهص الله عبده.. جعله معدنا للخير.

وجاء فى المعجم الوسيط: الإرهاص شرعا: الأمر الخارق للعادة يظهر للنبى قبل بعثته.

والحكمة منه.. أنه بظهور تلك الأمارات تتهيأ القلوب لقبول الرسالة الجديدة.. وتستعد الأذهان لاستقبال ذلك المبعوث الهادى.. وتتطلع الأنظار إلى بزوغ شمس النبوة قبل إشراقتها..!

* الإرهاص سنة من سنن الله تعالى فى كونه:

إن رسل الله وأنبياءه كثيرون، لم يذكر القرآن الكريم منهم إلا النزر اليسير.. قال تعالى:

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾(١)

(١) سورة النساء: ١٦٤

وقال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(١)

روى الحاكم بسنده عن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: قلت: بارسول الله.. كم كانت الأنبياء.. وكم كان المرسلون..؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **«كانت الأنبياء مائة ألف، وأربعة وعشرين ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا»**.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن كثير من الإرهاصات التى سبقت ميلاد أو بعثة كثير من الأنبياء والمرسلين.. كآدم.. وإسماعيل.. وإسحاق.. ويعقوب.. وموسى.. وداود.. وعيسى ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ولكن الذى يهمنا أن نبينه تفصيلا ماكان من إرهاص لرسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

* الإرهاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

كما جرت سنة الله ـ تعالى ـ أن يكون لبعض الرسل

---

(١) سورة غافر: ٧٨

إرهاصات سابقة على بعثتهم.. كان الشأن كذلك مع إمام الأنبياء، وخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

وبقدر ما كانت رسالته خطيرة الشأن بعد غيرها من الرسالات الأولى.. وبمقدار مكانته العظيمة عند الله ـ عز وجل ـ كان الإرهاص له ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعمق فى التاريخ.. وأفسح مدى فى جوانبه العلمية.

أجل..! لقد تمت البشارات به ـ صلى الله على وسلم قبل مولده بآلاف السنين.. وكانت الإرهاصات له فى أعماق أعماق التاريخ البعيد.. فما من نبى من الأنبياء بعث فى أمة من الأمم.. إلا وأخذ الله ـ تبارك وتعالى ـ عليه العهد والميثاق لئن ظهر إمام أنبيائى.. وصفوتى من خلقى نبى آخر الزمان محمد.. فى حياتك وعهدك لتؤمنن به ولتنصرنه، وأنه لزام عليك أن تأخذ العهد على قومك أن يؤمنوا به، وينصروه ويؤازروه.. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٢)

(١) عهدى وميثاقى
(٢) سورة آل عمران: ٨١

إن حديث القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة عن الإرهاص لرسول الله محمد.. يأخذ العهد والميثاق على كل نبى ورسول منذ فجر الحياة إلى عيسى فمن دونه.. بأن يؤمنوا به وينصروه.. أوضح من أن يحتاج إلى بيان.. يروى الألوسى نقلا عن ابن جرير عن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: لم يبعث الله نبيا.. آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره أن يأخذ العهد على قومه.. ثم تلا الآية الشريفة(١).

وقال القرطبى: الرسول هنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قول على وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين، كقوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾

إلى قوله:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾(٢)

فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد ـ عليه السلام ـ وينصروه إن أدركوه، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم.

---

(١) ذكره ابن كثير والشوكانى فى فتح القدير وغيرهما.

(٢) الآيتان: ١١٢، ١١٣ من سورة النحل.

فى هذه الآية الكريمة يخبرنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بأنه أخذ الميثاق وهو العهد، على كل نبى من أنبيائه، أنه آتاهم الكتب والشرائع ـ وأنه سيبعث رسوله مصدقا لما معهم من كتبه وشرائعه، وأنه ـ تعالى ـ يفرض على الأنبياء، وعلى أممهم أن يكونوا مؤمنين بذلك الرسول الآتى بعد..! وأنهم ينصرونه إذا أدركهم فى عصورهم، وإن لم يدركهم فقد علموا به.

يقول ابن هشام فى سيرته: وكان الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله ـ تعالى ـ لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ الخ. اهـ(١).

وبهذا يكون واضحا أن الإرهاص لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان مبدأ ساريا فى الرسالات كلها، ومتصلا بأول إشراقة نورانية من إشراقات الله ـ سبحانه ـ على هذا الوجود..!!

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٥٠

وعـــن:

٢ ـ دعـوة أبيـه إبراهيـم

يقـــول:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١)

من ملامح النبوة المحمدية المتلألئة فى جبين التاريخ.. والتى تمثل درة فى جيد الزمان.. ماجاء على لسان إبراهيم

---

(١) سورة البقرة، الأيات: ١٢٧ ـ ١٢٩.

وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ وهما يقيمان قواعد البيت الحرام ـ وما أثبته الله ـ تعالى ـ فى هذه الآيات الشريفة من سورة البقرة.. إذ يقول:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾

لكن.. ! لِمَ نعتبر هذا خاصا بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم..؟؟ وقد كان بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنبياء كثيرون من ذريته أتوا من بعده..؟؟

نعتبر أن ذلك خاص برسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأسباب:

الأول : أن الدعاء كان من إسماعيل مع أبيه إبراهيم، والأمة التى انحدرت منهما هى أمة العرب.: وأما غير العرب فلم يكونوا منسوبين إلى إسماعيل، وإن كانوا منسوبين إلى إبراهيم..

الثانى: كان دعاء إبراهيم وإسماعيل فى أم القرى ـ مكة المكرمة ـ قلب الأمة العربية، ومهوى أفئدتهم.. والرسول الذى كان من العرب.. ولد فى هذه البقعة وبعث فيها.. بعد إسماعيل.. هو محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ.

الثالث: أن القرآن نفسه يوضح هذا المعنى ويؤكده فى قول الحق ـ عز وجل ـ:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(١)

وفى قوله سبحانه:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)

وفى قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾(٣)

والذى لاريب فيه.. أن فى هذه الآيات تفسيرا وتوضيحا لهذا الإرهاص.. ولتلك البشرى.. وهذه الدعوة التى جاءت على لسان إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ.

ومما يزيد الأمر تأكيدا وتوضيحا مارواه الإمام أحمد فى

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.
(٢) سورة التوبة: ١٢٨
(٣) سورة الجمعة: ٢

مسنده، وغيره، عن صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: **«إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن أول ذلك.. دعوة أبي إبراهيم.. وبشارة عيسي بي.. ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين، وإن أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام»**.

لقد كانت دعوة إبراهيم تلك.. أول الإرهاصات الخاصة برسول الله وضوحا.. وأصدقها في دنيا الناس دلالة.. وأبلجها إشراقة..!!

وعـــن:

٣ ـ بشارات التوارة والإنجيل:

يقـــول:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

من عظيم مكانة النبى الخاتم، صاحب الرسالة الخاتمة، عند رب العالمين ـ عزو جل ـ أن نوه بذكره منذ بدء

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

الخليقة.. ففضلا عن أخذه ـ سبحانه وتعالى ـ العهد والميثاق على كل نبى من الأنبياء أن يؤمنوا به ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينصروه.. فقد ذكر اسمه وصفاته فى العهدين القديم والجديد.. التوراة والإنجيل، لقد حفل هذان الكتابان بالكثير عن نبى آخر الزمان محمد بن عبد الله ـ صلوات ربى وسلامه عليه.

لقد ذكر ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرات باسمه الشريف: محمد.. أحمد، وذكر مرات بصفاته الخلقية، والخلقية، وأحايين باسم مشتق من مادة الحمد.. وتصدق على أسمائه الشريفة: محمد.. أحمد.. محمود.. صلى الله عليه وسلم..!

وهاهو ذا الكتاب الخاتم.. الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. القرآن الكريم.. يخبرنا فى جلاء ووضوح بأن التوراة والإنجيل قد حملا البشارة بهذا النبى الأمى، فى قول الحق سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾(١).

يروى البخارى بسنده عن عطاء بن يسار، أنه قال: لقيت

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرنى عن صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة، فقال: «أجل.. والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1]

وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صُما وقلوباً غلفا».

قال ابن إسحق: وقد كان، فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل من صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما أثبت يُحَنَّس[2] الحوارى لهم حين نسخ الإنجيل لهم عن عهد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم أنه قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطِروا[3] وظنوا أنهم يعزوننى[4] وأيضا للرب،

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٥.
(٢) لعله يوحنا الحوارى
(٣) البطر: الأشر وهو شدة الفرح
(٤) أى: يغلبوننى، ومنه قوله تعالى: «وعزنى فى الخطاب» أى: غلبنى

ولكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس، إنهم أبغضونى مجانا[1]، فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا - بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء والميم الثانية وتشديد النون مع فتحها هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس، هذا الذى من عند الرب خرج، فهو شهيد علىَّ، وأنتم أيضا، لأنكم قديما كنتم معى فى هذا، قلت لكم: لا تشكُّوا[2]..

قال ابن هشام: والمنحمنا بالسريانية محمد، وهو بالرومية البَرْقَليطِس، صلى الله عليه وسلم[3].

***

تأكد لدينا - إذن - أن الكتابين: التوراة والإنجيل حفلا بالبشارة بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ ليس بعد شهادة رب العالمين - عز وجل - فى محكم كتابه الخاتم - القرآن الكريم - شهادة.. فإذا ماذكر فى أصح الكتب بعد القرآن تلك البشارة - البخارى.. وفى أقدم وأوثق كتب التاريخ والسيرة: ابن إسحق، وابن هشام.. زاد الأمر تأكيدا، ووصل إلى مرتبة: عين اليقين..!!

ونستأنس بما جاء فى الإصحاح الثامن من سفر التثنية بالتوراة فى سياق الحديث عن الأنبياء.. حيث يخاطب رب

(١) أى: باطلا.

(٢) أى: بلغتكم هذا حتى لاترتابوا فى محمد بعد بعثته ﷺ

(٣) ابن هشام جـ١ ص ٢٥٠

العالمين ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه وكليمه موسى بقوله: «وسوف أقيم لهم نبيا مثلك، من بين إخوتهم، وأجعل كلامى فى فمه، ويُكلمهم بشئ آمره به، ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به فأنا الذى أنتقم منه».

ولعل واحدا يسأل: لِمَ نخص هذه البشارة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره من الأنبياء.. وقد كان بعد موسى وقبل محمد أنبياء كثيرون..؟؟ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..؟؟

والجواب: أن اليهود أنفسهم بعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ كانوا ينتظرون نبيا موصوفا عندهم فى التوراة بهذه الصفات.. وذلك يؤكد: أنهم كانوا على علم برسول يأتى غير عيسى عليه السلام.

ثم.. إن الأنبياء الذين أتوا بعد موسى وقبل محمد كانوا كلهم من بنى إسرائيل.. أى: من أنفسهم وليسوا من إخوتهم.. ولم يأت من إخوتهم ـ العرب ـ نبى بعد موسى ـ إلا خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم..!

***

وبما جاء فى سفر التكوين.. إصحاح ١٧ فقرة ٢٠: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه.. هأنا أباركه وأثمره

بمأذماز» . . وكلمة مأذماز: كلمة عبرية، ومعناها بالعربية، محمد صلوات الله وسلامه عليه.

***

*** وفى سفر التثنية إصحاح ١٨ فقرة ١٨:**

« أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

وفى سفر أشعياء المكتوب بالأرمنية، ترجمة القس «أوسكان» الأرمنى طبع سنة ١٧٧٣ فى الباب ٤٢ تصريح باسم النبى «محمد» حيث قيل: «وأثر سلطته على ظهره، واسمه أحمد» . . أى: علامة النبوة فى ظهره، وهى: خاتم النبوة . . !!

بل تمت البشارة به ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يخلق آدم

أجل . . ! لقد بشر الله ـ تبارك وتعالى ـ الملأ الأعلى بحبيبه، وصفوته من خلقه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يخلق أبو البشر . . آدم نفسه ـ عليه السلام ـ وكان أول شئ وقع بصر آدم عليه بعد أن دبت فيه الحياة، وألقى الله تعالى فيه من روحه، فصار إنسانا . . هو: اسم إمام الأنبياء . . وخاتم المرسلين ـ حبيب رب العالمين . . محمد، مقرونا باسم الجلالة . . !

أ ـ جاء فى إنجيل برنابا فى الفصل التاسع والثلاثين: «فلما

انتصب آدم على قدميه.. رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس.. نصها: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.. ففتح حينئذ آدم فاه، وقال: أشكرك أيها الرب إلهى.. لأنك تفضلت فخلقتنى.. ولكن أضرع إليك أن تنبئنى ما معنى هذه الكلمات: محمد رسول الله...؟؟

فأجاب الله: مرحبا بك ياعبدى آدم.. وإنى أقول لك: إنك أول إنسان خلقت.. وهذا الذى رأيته إنما هو ابنك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة..

ب - وفى الفصل الحادى والأربعين:

« فطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس.. فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب.. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله..».

جـ - وفى إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦، فقرة ٧:

«لكنى أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق.. لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليطس».. ولقد سبق: أن معنى هذه الكلمة بالعربية حرفيا: محمد صلى الله عليه وسلم..!

***

وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم كتابه:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١)

لقد أخبر عيسى قومه بأن التوراة بشرت بنى إسرائيل به، وأنه ـ أى: عيسى عليه السلام ـ مصدق ما أخبرت عنه، وأنه مبشر بمن يأتى بعده، وهو الرسول النبى الأمى العربى.. أحمد.. فعيسى ـ عليه السلام ـ وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل قد أعلن على الملأ من قومه البشارة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم..

ولعل واحدا يقول: إن رسولنا اسمه: محمد، والذى بُشر به أحمد، ومحمود.. فكيف..؟

والجواب.. فيما رواه البخارى بسنده عن جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «**إن لي أسماء.. أنا محمد، وأنا أحمد.. وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر.. وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي.. وأنا العاقب**» وفيما رواه مسلم عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال: سمى لنا رسول الله ـ

---

(١) سورة الصف: ٦

صلى الله عليه وسلم ـ نفسه أسماء، منها ماحفظنا، فقال: «أنا محمد.. وأنا أحمد.. والحاشر.. والمقفى.. ونبى الرحمة.. ونبى التوبة.. ونبى الملحمة».. وأورد القرطبى حديثا، قال[1]: ورُوى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «اسمى فى التوراة أحيد؛ لأنى أحيد أمتى عن الكفر، واسمى فى الزبور الماحى؛ محا الله بى عَبَدة الأوثان، واسمى فى الإنجيل أحمد، وأسمى فى القرآن محمد، لأنى محمود فى أهل السماء والأرض».

ومما يُستأنس به هنا.. مارواه الخازن عند تفسيره لآية سورة الصف:

﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2]

«إن الحواريين قالوا لعيسى ـ عليه السلام ـ: ياروح الله.. هل بعدنا أمة..؟؟ قال عيسى: نعم.. أمة أحمد.. حكماء.. علماء.. أبرياء.. أتقياء.. كأنهم فى الفقه أنبياء.. يرضون من الله باليسير من الرزق.. ويرضى الله منهم باليسير من العمل..!!»

---

(١) لم يذكر الإمام القرطبى رحمه الله.سند هذا الحديث ولا مصدره، وإنما قال: رُوى.. بالبناء للمجهول.. والله أعلم.

(٢) سورة الصف : ٦.

إنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: محمد.. وهو أحمد.. ومحمود.. والماحى.. والحاشر.. والمقفى.. ونبى الرحمة.. ونبى التوبة.. ونبى الملحمة.. وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى.. وليس هناك من هو أعظم فى خلق الله طرا من مصطفاه من خلقه.. إمام الأنبياء وخاتم المرسلين.. محمد..!!

لقد أفعم التاريخ بإشعاعات وضاءة.. كانت تشف فى جلاء عما كان يضمره الغيب من شأن هذه البقعة المباركة، ومن شأن الرسالة الخاتمة.. وكانت تعد بحق ملامح قوية لبعثة هذا النبى الأمى.. ومعالم على الطريق قبل ولادته..!!

وعـــن:

٤ ـ معرفة أهل الكتاب له ـ صلى الله عليه وسلم ـ معرفة جلية

يقـــول:

أ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١)

ب ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢)

ليْس هناك فيما أعلمنا التاريخ.. وما فقهه الناس من

(١) سورة البقرة: ٨٩.
(٢) سورة الأنعام: ٢٠.

شئون دنياهم.. وواقع حياتهم.. معرفة أوضح وأجلى من معرفة الوالدين لأبنائهم.. إنها معرفة لا يخالطها شك.. أو تخامرها ريبة.. أو يقلل منها لبس..!

ومعرفة أهل الكتاب: اليهود.. والنصارى.. رسول الله محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كانت أوضح وأجلى من معرفة الأبوين لأحد أبنائهما.. كانوا يعرفونه باسمه وصفاته.. يعرفون مولده.. ومهجره.. بل ويعرفون بعض صفات أصحابه.. لقد فقهوا هذه المعرفة من العهدين: القديم والجديد.. وتوارثوها كابرا عن كابر.

وها هو ذا كتاب الله ـ عز وجل ـ الخاتم، القرآن الكريم، يؤكد هذه الدعوى:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا .. ﴾(١) ؟؟!

أجل..! يؤكد القرآن الكريم فى حديثه الصادق عن إمام الأنبياء وخاتمهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن أهل الكتابين: اليهود.. والنصارى.. كانوا يعرفونه حتى قبل أن يولد معرفة جيدة.. أكثر من معرفة أحدهم لأبنائه.. ويقول سبحانه:

---

(١) سورة النساء: ٨٧

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾(١)

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الشريفة: يخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذى جئتهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونعته وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته.

ويقول القرطبى: يريد اليهود والنصارى الذين عرفوا وعاندوا «والذين» فى موضع رفع بالابتداء، و «يعرفونه» فى موضع الخبر، أى: يعرفون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يقول: إنه مروى عن الحسن وقتادة وهو قول الزجاج.

ويقول الشوكانى: «الذين آتيناهم الكتاب» التوراة والإنجيل وغيرهما، «يعرفونه» رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «كما يعرفون أبناءهم» أى: فإن الإنسان لا يعرفه أحد كما يعرفه أبوه وأمه.

***

وكما تضافرت أقوال كبار المفسرين على هذا الرأى.. فقد

(١) سورة الأنعام: ٢٠

تضافرت آيات التنزيل الحكيم على تأكيد تلك القضية، فأوردها رب العالمين - عز وجل - فى صور شتى.. فتارة يؤكد أن معرفتهم له - صلى الله عليه وسلم - كمعرفة أحدهم لابنه تماما، كما فى هذه الآية الكريمة.. وتارة يحثهم على الإيمان به وبما جاء به، مذكرا إياهم بأنه هو نفسه الذى بشرت به كتبهم، ثم يتوعدهم بأشد أنواع العقاب إن لم يؤمنوا.. فيقول عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(١)

وتارة يفضح أمرهم، ويكشف سرهم.. فيبين أن محمدا هذا هو نفسه الذى كانوا يتوعدون به المشركين من الأوس والخزرج، وأنهم كانوا كثيرا مايطلبون من الله النصر به - صلوات الله وسلامه عليه - فيقول:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢)

---

(١) سورة النساء: ٤٧

(٢) سورة البقرة: ٨٩

يقول الإمام الشوكانى: «يستفتحون» أى: كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى يجدون صفته عندهم فى التوراة.

ويقول القرطبى.. قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود، فعاذت يهود بهذا الدعاء، وقالوا: إنا نسألك بحق النبى الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلا تنصرنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفروا به.

ويقول ابن[1] هشام: قال ابن إسحق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهداه ـ لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجبناه حين دعانا إلى الله ـ تعالى ـ وعرفنا ما كانوا

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٣٠

يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾[1] الخ.

* بسبب معرفته هاجر أحبارهم إلى يثرب:

ولأن اليهود كانوا يعرفون كل شئ عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أين سيولد.. وإلى أين سيهاجر.. تركوا الشام بما فيها من رخاء، ورفاهية، وأسباب الترف، تركوا ديارهم.. وهاجروا إلى يثرب قبل ميلاده بقرون عديدة.. انتظارا لخروجه وبعثته.

يروى ابن هشام فيقول: قال ابن إسحق: وحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة، عن شيخ من بنى قريظة، قال لى: هل تدرى عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد ابن عبيد[2].. ؟ قال: قلت: لا، قال: فإن رجلا من يهود أهل الشام، يقال له: ابن الهيَّبَان، قدم علينا قبيل الإسلام لسنين، فحل بين أظهرنا، لا والله.. ما رأينا رجلا قط لايصلى الخمس أفضل منه[3]، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) تنفرمن بنى هدل إخوة بنى قريظة.

(٣) أى: مارأينا مثله فى العبادة.

المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيَّبَانِ فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة.. فنقول له: كم..؟ فيقول: صاعا من تمر، أو مُدين من شعير، قال: فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتِنَا فيستسقى الله لنا، فو الله مايبرح مجلسه حتى تمر السحابة ونُسقى، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث، قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت، قال: يا معشر يهود.. ماترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع..؟، قال: قلنا: إنك أعلم..!، قال: فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتَوَكَّفُ[1] خروج نبى قد أظل زمانه[2]، وهذه البلدة مُهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه.. وقد أظلكم زمانه.. فلا تُسَبُقنَّ إليه يامعشر يهود.. فإنه يُبعث بسفك الدماء[3]، وسبى[4] الذرارى والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه..؟ فلما بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحاصر بنى قريظة، قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شبابا أحداثا ـ : يابنى قريظة.. والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيَّبان..!، قالوا: ليس به.. قالوا:

---

(١) أنتظر خروجه وأستشعره.

(٢) أشرف عليكم وقرب.

(٣) قتل من يرد دعوته ويكفر بها.

(٤) أى: استرقاق الذرية والنساء.

بلى.. والله إنه لهو بصفته..!!، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم..!!

هكذا ينبؤنا التاريخ: «وما ينبئك مثل خبير».. بأن أحبار اليهود خاصَّة.. واليهود عامة.. كانوا يعرفون رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ معرفة جيدة لا لبس فيها ولا خفاء.. وأن معرفتهم تلك حملت الكثير منهم على أن يهاجروا من هنا وهناك إلى يثرب.. دار هجرته.. ومثواه الأخير.. يترقبون بعثته ليؤمنوا به ويتبعوه.. فلما بعث ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ غلبت الشقوة على الكثير منهم، ولم ينتفع بما عرف إلا القلة القليلة.. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١)

* وآمن سلمان الفارسى رضى الله عنه:

وبسبب معرفة اليهود والنصارى لرسول الله محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لاسمه.. وصفاته.. ومولده.. ومهجره.. وزمن خروجه.. راح سلمان الفارسى يتنقل من

(١) سورة البقرة: ٨٩

مكان إلى آخر.. ومن خدمة حبر إلى ثان وثالث ورابع.. وهو ينشد النور.. ويبحث عن الحقيقة.. وينقب عن هذا الرجل النبى العربى الذى وصف له على لسان أكثر من واحد من علمائهم وأحبارهم.. وأراد الله به الخير.. فمهد له السبيل حتى حمل إلى يثرب.. وفيها وجد الخير الذى ينشده.. وأبصر النور الذى يبتغيه.. وقابل نبى الهدى محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعد هجرته.. وسرعان ما آمن به.. واتبعه.. لكن.. كان دون ذلك جهد ومشقة.. وضياع ماله.. وفقد حريته..وفقر وحاجة ورحلة بعد رحلة..!! فكيف تم ذلك..؟؟

ونترك ابن هشام يحدثنا عن ابن إسحق.. بسنده الذى ينتهى إلى سلمان نفسه ـ رضى الله عنه ـ وهو يقول:

كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها: جَيٌّ، وكان أبى دهقان[1] قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية، اجتهدت فى المجوسية[2] حتى كنت قطن[3] النار الذى يوقدها، لايتركها تخبو ساعة.

(١) أى: شيخ القرية وخبيرها.

(٢) المجوسى هو: من يعبد النار ويعظمها.

(٣) أى: خادمها الذى لا يجعلها تنطفئ.

قال: وكانت لأبى ضيعة عظيمة، فشغل فى بنيان له يوما، فقال لى: يابنى.. إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى، فاذهب إليها فاطلعها، وأمرنى فيها ببعض مايريد، ثم قال لى: ولا تحتبس عنى، فإنك إن احتبست عنى كنت أهمَّ إلىَّ من ضيعتى..! وشغلتنى عن كل شئ من أمرى..!

قال: فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم، ورغبت فى أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبى فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين..؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته، قال: أى بنى.. أين كنت..؟ أو لم أكن عهدت إليك ما عهدت..؟

قال: قلت: يا أبت.. مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم، فأعجبنى مارأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس.. قال: أى بنى..! ليس فى ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه.. قلت له: كلا.. والله إنه

لخير من ديننا..!، فخافنى.. فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته.

فبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم.. فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبرونى بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنونى[1] بهم.. فلما أرادوا الرَّجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام.. فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما..؟، قالوا: الأسقُفُّ[2] فى الكنيسة.. فجئته، فقلت له: إنى قد رغبت فى هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك فى كنيستك فأتعلم منك وأصلى معك.. وكان رجل سوء.. يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورِق[3]، فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلَ سَوْءٍ يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط

(١) فأعلمونى بخبرهم.

(٢) هو عالم النصارى.

(٣) فضة.

المساكين منها شيئا.. فقالوا لى: وما علمك بهذا..؟، قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه.. فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقًا، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا.. فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه.

يقول سلمان ـ رضى الله عنه ـ: فما رأيت رجلا لايصلى الخمس أرى أنه كان أفضل منه، وأزهد فى الدنيا.. ولا أرغب فى الآخرة، ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه.. فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله.. فأقمت معه زمانا.. ثم حضرته الوفاة فقلت له: يافلان.. إنى كنت معك.. وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك، وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصى بى..؟ وبم تأمرنى..؟، قال: أى.. بنى، والله ما أعلم اليوم أحدا على ماكنت عليه، فقد هلك الناس، وبدَّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل، وهو فلان، وهو على ماكنت عليه، فالحق به..!

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يافلان إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك، وأخبرنى أنك على أمره، فقال لى: أقم عندى، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يافلان.. إن فلانا أوصى بى إليك،

وأمرنى باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ماترى، فإلى من توصى بى..؟ وبم تأمرنى..؟ قال: يابنى.. والله ما أعلم رجلا على مثل ماكنا عليه إلا رجلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به.

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نضيبين، فأخبرته بخبرى، وما أمرنى به صاحباى، فقال: أقم عندى، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل فوالله مالبث أن نزل به الموت، فلما حُضِرَ قلت له: يافلان.. إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك، فإلى مَن توصى بى..؟ وبم تأمرنى؟ قال: يابنى.. والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا..!

فلما مات وغُيب لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبرى فقال: أقم عندى، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغُنيمة.. ثم نزل به أمر الله، فلما حُضِر قلت له: يافلان.. إنى كنت مع فلان فأوصى بى إليك.. فإلى من تُوصى بى..؟ وبم تأمرنى..؟ قال: أى بنى.. والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد

على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه.. ولكنه قد أظل زمان نبى.. وهو مبعوث بدين إبراهيم ـ عليه السلام ـ يخرج بأرض العرب.. مُهاجَرُه إلى أرض بين حرَّتين[1] بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية.. ولا يأكل الصدقة.. وبين كتفيه خاتم النبوة.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..!!

قال: ثم مات وغُيِّب، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مربى نفر من كلب تجار، فقلت لهم: احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغُنيمتى هذه، قالوا: نعم، فأعطيتهموها، وحملوني معهم، حتي إذا بلغوا وادي القرى ظلمونى، فباعونى من رجل يهودى عبدا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى، ولم يحق فى نفسى، فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة، فابتاعنى منه، فاحتملنى إلى المدينة، فوالله ماهو إلا أن رأيتها وعرفتها بصفة صاحبى فأقمت بها، وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنى لفى رأس عذَق[2] لسيدى أعمل له فيه بعض العمل، وسيدى جالس تحتى، إذ أقبل ابن

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سوداء
(٢) عنقود النخل.

عم له، حتى وقف عليه. فقال: يافلان.. قاتل الله بنى قَيْلَة[1]، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبى..!!

فلما سمعتها.. أخذتنى العُرَواءُ[2] حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى، فنزلت على النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول..؟ فغضب سيدى، فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا..؟ أقبل على عملك.

فلما أمسيت أخذت شيئا من التمر كنت قد جمعته ثم ذهبت به إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شئ كان عندى للصدقة، فرأيتك أحق الناس به، ثم قربته إليه، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، فقلت فى نفسى: هذه واحدة..!، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا، وتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها.. فأكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها، وأمر أصحابه

(١) هى أم الأوس والخزرج.
(٢) ما يشبه الرعدة والانتفاضة من البرد.

فأكلوا معه، فقلت فى نفسى: هاتان ثنتان، ثم جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ببقيع الغوقد تبع جنازة رجل[1] من أصحابه، علَىَّ شملتان[2] لى، وهو جالس فى أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى..؟؟، فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استدبرته عرف أنى أستثبت فى شئ وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكى.. فقال لى رسول الله ـ: صلى الله عليه وسلم ـ: «تحول» فتحولت، فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثى.. فأُعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدر، وأحد، قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ : «كاتب ياسلمان»، فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير[3]، وأربعين أوقية، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه: «أعينوا أخاكم»، فأعانونى بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّة[4]، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية،

(١) الميت هو: كلثوم بن الهرم. قاله أبوذر.
(٢) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.
(٣) أى: بالحفر والغرس.
(٤) صغار النخل.

والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده.. حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «اذهب ياسلمان فَفَقِّر[1] لها، فإذا فرغت فأتنى أكن أنا أضعها بيدى» ففقرت وأعاننى أصحابى حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الودى ويضعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده، حتى فرغنا، فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل، وبقى علىَّ المال.. فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: «ما فعل الفارسى المُكاتب..؟» قال: فدعيت إليه، فقال: «خذ هذه فأدها مما عليك ياسلمان»، قلت: وأين تقع هذه يارسول الله مما علىَّ..؟، فقال: «خذها فإن الله سيؤدى بها عنك» فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذى نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية، فأوفيتهم منها، وعَتَقَ سلمان، فشهدت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخندق حُرًّا، ثم لم يفتني معه مشهد..!!

***

أرأيت معى.. كيف كان أحبار اليهود.. وأساقفة النصارى

---

(١) احفر لها.

على علم تام باسم رسول الله .. وصفاته.. ومولده.. ومهجره.. وزمن خروجه..؟؟ وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾[1]!!

(١) سورة الأنعام: ٢٠.

obeikandl.com

وعـــن:

٥ ـ صفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفة أصحابه فى التوراة والإنجيل

يقـــول:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١)

(١) سورة الفتح: ٢٩.

لم تقتصر البشارات التى بشرت به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على ذكر صفاته وفقط، بل تعدت تلك البشارات ذلك إلى ذكر صفات أصحابه وأتباعه الذين سيؤمنون به ويتبعونه ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ فتقوى بهم دعوته، ويشتد بهم ساعده.

وها هو ذا الكتاب الخاتم «القرآن الكريم» يخبرنا أن الله تعالى ضرب مثلين لرسول الله وأتباعه.. أحدهما: فى التوراة، والثانى: فى الإنجيل.

أما مثلهم الذى ضربه العزيز الحكيم ـ سبحانه وتعالى ـ فى التوراة فقد مثلهم بقوم هم: رهبان الليل، فرسان النهاز، غلاظ على عدوهم كغلظة الأسد على فريسته، رحماء بعضهم على بعض:

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾(١)

البهاء والوقار يجلل وجوههم، وأنوار الهداية تعلو جباههم:

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾(٢).

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.
(٢) سورة الفتح: ٢٩.

وأما مثلهم الذى ضربه العزيز الحكيم ـ سبحانه وتعالى ـ فى الإنجيل. . فقد مثلهم بشجرة نبتت على ساق واحدة، ثم راحت تتكاثر بسرعة هائلة، فخرجت أفراخها من جذعها وعِرْقها، أى: ساقها، ومافتئت هذه الشجيرات الوليدة حتى نمت واستغلظت فأضحت شجرة عملاقة قوية، كثيرة الفروع والأغصان، تعجب الناظرين إليها من قوتها، وحسنها، وتشابك فروعها، وامتداد أغصانها:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾(٥).

هكذا صور رب العالمين ـ سبحانه وتعالى ـ إمام أنبيائه وخاتم مرسليه، وصفوته من خلقه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحوله أصحابه ومن قَبِلَ دعوته، واتبع هداه. . بتلك الصورة التى تنبئ عن القوة والعزة، وتزينها المودة والرحمة،

---

(١) فرخه.

(٢) قواه.

(٣) أى: صار ذلك النبات الوليد غليظا قويا.

(٤) فاستقام على أعواده.

(٥) سورة الفتح: ٢٩.

وتحيط بها هالة من الجلال والبهاء والوقار، ويزخرفها نور الهداية فيجعلها مصدر فرح وبهجة للمحبين، ومصدر غيظ وحزن وحسرة للشانئين..!

ذكرت تلك الصورة.. الرحيمة.. الوقورة.. القوية.. لمحمد وأصحابه فى الكتابين: التوراة والإنجيل.. فكانت بشارة قوية بالنبى الخاتم وصحبه.

ومن ثم.. كان أهل الكتابين: اليهود.. والنصارى على علم تام بصفات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفات بعض أصحابه ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ تلك الصفات الشخصية التى تميز بعضهم عن بعض ـ أما صفاتهم العامة على ضوء هذه الآية الكريمة من سورة الفتح فقد كانت بالنسبة لليهود والنصارى واضحة جلية.

يروى الحافظ أبو القاسم الطبرانى بسند ينتهى إلى جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ قال: «خرجت تاجرا إلى الشام، فلما كنت بأدنى الشام، لقينى رجل من أهل الكتاب، فقال: هل عندكم رجل نبيا..؟؟، قلت: نعم..! قال: هل تعرف صورته إذا رأيتها..، قلت: نعم، فأدخلنى بيتا فيه صور، فلم أر صورة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبينا أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا، فقال: فيم أنتم..؟ فأخبرناه، فذهب

بنا إلى منزله، فساعة ما دخلت نظرت فرأيت صورة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذا رجل آخذ بعقب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت: من هذا الرجل القابض على عقبه..؟؟، قال: إنه لم يكن نبى إلا بعده نبى إلا هذا النبى فإنه لا نبى بعده، وهذا الخليفة بعده، وإذا صفة أبى بكر رضى الله عنه».

ويروى أبو داود بسند ينتهى إلى الأقرع مؤذن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال: «بعثنى عمر إلى الأسقف فدعوته. فقال له عمر: هل تجدنى فى الكتاب..؟، قال: نعم، قال: كيف تجدنى..؟ قال: أجدك قرنا، فرفع عمر الدرة وقال: قرن مه..؟ قال: قرن حديد، أمير شديد، قال: كيف تجد الذى بعدى..؟ قال: أجد خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته..!، قال عمر: يرحم الله عثمان ـ ثلاثا ـ ..! قال: كيف تجد الذى بعده..؟ قال: أجده صدأ حديد، قال: فوضع عمر يده على رأسه، وقال: يادفراه.. يادفراه[1]، قال: ياأمير المؤمنين.. إنه خليفة صالح، ولكنه يتخلف حين يتخلف والسيف مسلول، والدم مهراق..!»

***

(١) الدفر فى الأصل: النتن، ومنه قيل للدنيا: أم دفر، وعمر بهذا القول يظهر تألمه وحسرته لما سيصيب الأمة بعده من فرقة وخلاف.. والله أعلم.

لقد كان شأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشأن أصحابه قبل أن يولد بقرون وقرون أوضح من شمس الضحى بالنسبة لأهل الكتابين اليهود والنصارى. . !!

obeikandl.com

وعـــــن:

٦ ـ حادث الفيل الذى يعد إرهاصا قويا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

يقـــول:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾(١)

إن حادث الفيل يعد من أوضح الملامح، وأوضح الأمارات، وأقوي الإرهاصات لميلاد إمام الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبه يؤرخ لميلاده الشريف.

يقول ابن كثير: هذه ـ يعنى هزيمة أبرهة وجيشه ـ من

---

(١) سورة الفيل.

النعم التى امتن الله تعالى بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان.. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه فى ذلك العام ولد على أشهر الأقوال.

ولسان حال القدرة «الإلهية» يقول: لم ننصركم يامعشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبى الأمى محمد خاتم النبيين.. ! اهـ.

وإليك قصة الفيل نرويها بالمعنى، وبإيجاز وبتصرف كبير، على ضوء ما رواها: مقاتل، وابن إسحق، والواقدى، وابن جرير، وكبار المفسرين من أمثال: ابن كثير، والقرطبى، والألوسى، والشوكانى، وغيرهم.

نقول ـ والله المستعان ـ: إن أبرهة أمير اليمن من قبل النجاشى، بنى كنيسة بصنعاء، لم ير مثلها فى زمانها، وسماها: القليس، وأراد أن يصرف إليها حج العرب،

فغضب رجل منهم، وخرج حتى أتى هذه الكنيسة فأحدث فيها..! وغضب لذلك أبرهة غضبا شديدا، وحلف ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار ومعه الفيل، وهو سلاح لم تستعمله العرب قبل، ولم تعرفه..!

وهال ذلك العرب وأعظموه، وفظعوا[1] به، ورأوا جهاده حقا عليهم..!، لكن أبرهة كان ينتصر على قبائلهم قبيلة قبيلة حتى وصل إلى مشارف مكة..!

ولما نزل أبرهة قريبا من مكة، بعث رجلا من الحبشة على فيل له حتى انتهى إليها، وساق إلى أبرهة أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها.. وهمت قريش ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة فى طلب سيد أهل مكة وشريفها، وقدم عبد المطلب عليه، وكان أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم هيبة ووقارا.. فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل

(١) أى: كان له وقع شديد وأليم فى نفوسهم.

من سريره، وجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه.. ثم قال لترجمانه: قل له: ماحاجتك..؟؟، فقال عبد المطلب: حاجتى أن يَرد علىَّ الملك مائتى بعير أصابها لى، وحينذاك قال أبرهة: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى..!! أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك.. وتترك بيتا هو دينك.. ودين آبائك.. قد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه..؟؟

قال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل.. وإن للبيت ربا سيمنعه..!!، وقال أبرهة: ما كان ليمتنع منى..! قال عبد المطلب: أنت وذاك..!!

ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، وخرج عبد المطلب ومن معه إلى شعاب الجبال يعتصمون بها، وينظرون ماذا سيحدث بعد أن تعلقوا بأستار الكعبة وحلقها، مناشدين رب البيت أن يحمى بيته.. وكان مما قاله عبد المطلب فى مناشدته لرب البيت سبحانه وتعالى:

لاَهُمَّ إن العبد يَمْـ نع رحله فامنع حِلالك(١)
لا يغلبن صليبهم ومحالهم(٢) عَدْوًا(٣) مِحَالك

(١) أى: سكان الحرم، وهو بكسر الحاء: القوم المتجاورون.
(٢) المحال: القوة.
(٣) اعتداء

إن يدخلوا البلد الحرا م فأمرٌ مَا[1] بدالك

وقيل: إن عبد المطلب لما أخذ بحلقة باب الكعبة، قال:

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا إنهم لن يقهروا قُواكا

وأصبح أبرهة فعبَّأ جيشه، وهيأ أخطر سلاح تعرفه البشرية آنذاك.. الفيل..! .. فماذا حدث..؟ .. لقد حُبس الفيل، فوقف ساكنا لايبدى حراكا.. لقد أبى أن يواصل سيره نحو البيت..! وحاولوا أن يحملوه على القيام ومواصلة السير بالضرب حينا.. وبإدخال المحاجن[2] فى أسفل بطنه أحيانا أخرى.. لكنه لم يستجب لهذا كله، فوجهوه إلى الشام ثم إلى اليمن فهرول فى كل، فأعادوا توجيهه إلى البيت فلم يتقدم خطوة واحدة.

يالغرابة ماحدث..؟!.. أيرى الفيل من عظمة البيت.. ورب البيت.. مالايراه هؤلاء الجبابرة العتاة المتغطرسون..؟؟ أجل.. إنه يرى مالايرون..!!

وركب القوم رءوسهم ونحّوْا جانبا مكان العظة والعبرة مما

(١) أى.. شئ ما ظهر لك
(٢) عصا فى طرفها حديد.

حدث.. وهموا أن يواصلوا سيرهم بعد هذا النذير.. ضاربين عرض الحائط بما حدث لفيلهم، ذلك السلاح الخطير الرهيب - ومن سنة الله فى خلقه - أنه - سبحانه - يملى للظالم، وينذره بالإنذار تلو الإنذار، فإذا لم يَرْعَوِ ويثبْ إلى رشده، ويرجع عن غيه وعتوه، ويقلع عن غطرسته وظلمه.. أخذه فلم يفلته.. أخذه أخذ عزيز مقتدر..!!

وهذا ماحدث لأبرهة تماما وجيشه..! لقد ركبوا رءوسهم، ولم يثوبوا إلى رشدهم، وهموا أن يواصلوا سيرهم.. ففاجأتهم القدرة الإلهية بما لم يخطر لهم على بال.. وبما لا قبل لهم به..! .. فماذا حدث..؟؟ قد حدث أمر أغرب وأدهش من الأول.. لقد رأوا شيئا عجيبا.. ماذا رأوا..؟؟.. رأوا جماعات من الطير آتية من ناحية البحر، ومقبلة عليهم..! .. إنها جند ربك العزيز الذى لا يغلب.. القادر المهيمن الذى لا يقهر.. جبار السموات والأرض.. مَن أمره بين الكاف والنون إذا قال لشئ: كن، فيكون..!

وماذا تحمل هذه الجماعات من الطير..؟، إنها تحمل شيئا أفتك من الصواريخ عابرة القارّات، وأخطر مما استُحدث اليوم بواسطة علم التكنولوجيا من قاذفات.. إنها أنكى من

القنابل الذرية أو الهيدروجينية، وأفظع من النابالم، وأقوى مما لم تصل إليه يد البشر بعد..!

كم زنة ما يحمل الطائر الواحد من أطنان.. مادام لها هذا التأثير الهائل.. الرهيب.. والأثر المرُيع..؟؟

مهلا.. مهلا..! فليس ما صنعته يد الإله القادر ـ سبحانه وتعالى ـ كالذى صنعته يد الإنسان مهما أوتى من أسباب العلم، ووصل إلى قمة التقدم..!

لقد كان كل طائر يحمل ـ كماقيل ـ ثلاثة أحجار.. حجرا فى منقاره، وفى كل رجل حجرا.. كل حجر من هذه الحمولة الهائلة التأثير، العظيمة الأثر، كحبة العدس وفقط.. ولقد قيل: إن كل حجر من هذا السجيل كتب عليه اسم صاحبه.. وكان الطائر لا يخطئه..!

ماذا كانت نتيجة هذا الهجوم الإلهى القاهر الظافر..؟؟ كانت نتيجته أن جند أبرهة أصبحوا كورق شجر أكلته الدواب ثم طحنته بأسنانها فصار قطعا صغيرة.. ثم لفظته على الأرض..!

ومن الغريب المدهش.. أن أبرهة نفسه لم يمت فى مكان الحادث، بل حمل إلى عاصمة ملكه، وهو تتساقط أنامله أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر..

فمات هناك؛ ليكون عبرة لمن وراءه.. لقد سجل رب العالمين ـ عز وجل ـ هذا الحدث الإلهى الهائل فى محكم كتابه.. فكان بعد بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجزة من معجزاته، كما أنه حدث قبل مولده، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾(١)

ويقول واحد ممن شهد هذه المعركة شعرا، وهو نفيل بن حبيب، العربى الذى أسره أبرهة وحمله معه إلى مكة.. يقول بعد المعركة:

أين المفرُّ والإلهُ الطالبُ ... والأشرمُ(٢) المغلوب ليس الغالب

ويقول أيضا:

حمدت الله إذ أبصرت طيرا ... وخفت حجارة تُلقى علينا

فكل القوم يسأل عن نُفيل(٣) ... كأن علىَّ للحُبشان دينا(٤)

---

(١) سورة الفيل

(٢) الأشرم هو: أبرهة

(٣) كانوا يحثون عنه ليدلهم على طريق العودة.

(٤) القرطبى وابن كثير

٧ ـ بشارات ذكرتها السنة.. وأخرى رواها المؤرخون:

نلمس ـ بمشيئة الله سبحانه ـ هذا الجانب لمسا خفيفا، لأن غرضنا فى هذا المؤلف، حديث القرآن الكريم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن إتماما للفائدة. نشير بإيجاز إلى ما ورد فى السنة الصحيحة من بشارات وإرهاصات، ونعرّج سريعا على مارواه المؤرخون فى هذا الجانب.

أما البشارات التى ذكرتها السنة الصحيحة.. فقدروى الحاكم فى مستدركه.. والبيهقى فى دلائل النبوة.. وأحمد فى مسنده عن العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

«إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته.. وسأخبركم عن أول ذلك:

أ ـ دعوة أبي إبراهيم.

ب ـ وبشري أخي عيسي بي.

جـ ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْن.. وإن أم

رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام، .

تكلمنا فى الصفحات السابقة عن :

أ ـ دعوة إبرهيم

ب ـ بشرى عيسى . . لأنهما مما تحدث عنه القرآن الكريم.

وعن الثالثة ـ رؤيا[1] أمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحدثنا هو نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها، فيقول: «**وان أم رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام،**[2].

وكان ذلك إيذانا بأن دعوته المباركة سوف تنتشر فى ربوع الأرض، ويصل مدها العظيم إلى الشام، وبُصرى، وغيرها من المدن والممالك، فتعمها بنورها ويضئ ذلك النور للبشرية دروب الحياة، فيسلكونها على هدى وبصيرة.

ويتحدث عنها ابن إسحق بأسلوب غير الجازم بصحتها، إذ يقول:

ويزعمون ـ فيما يتحدث الناس، والله أعلم ـ أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تحدث:

---

(١) رؤيا بالألف منامية، وبالتاء المربوطة بصرية.

(٢) رواه الحاكم والبيهقى واحمد. .

أنها أُتيت ـ حين حملت برسول الله، صلى الله عليه وسلم ـ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولى: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا.. وأنها رأت ـ حين حملت به ـ أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام. اهـ.

وفى فترة الحمل هذه.. رأي جده عبد المطلب فى نومه: كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف فى السماء، وطرف فى الأرض، وطرف فى الشرق، وطرف فى الغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وأن أهل المشرق وأهل المغرب يتعلقون بها، فقصها.. فأولها المعبرون له: بأنه سيرزق بمولود من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهل السماء وأهل الأرض، وسيكون له شأن(١)..!

***

وكان حفر بئر زمزم على يد جده عبد المطلب، ونجاة والده من الذبح بفدية مائة من الأبل.. من أقوى الإرهاصات لميلاده الشريف ـ صلى الله عليه وسلم.

***

(!) البستان لعلى القيروانى.
والروض الأنف للسهيلى.

لقد أصبحت الدنيا كلها وكأنها على موعد مع إشراقة النور المحمدى، والهدى الإلهى، بعد أن دخل فتى مكة وناسكها الذى كان شعاره : أما الحرام فالممات دونه..!، بفتاة مكة حسبا وشرفا وورعا.

ومع إشراقة فجر يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول عام الفيل ٥/٨/ ٥٧٠م ولد إمام الأنبياء وخاتمُ المرسلين.. محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.. فكان ميلاده خيرا.. وبركة.. ورحمة.. ونورا للبشرية كلها.. صلوات الله وسلامه عليه...!!

obeikandl.com